أَلمُسْتَضْعَفُونَ في القُرْآنِ الكَرِيمِ

ايمان كحيل
جامعة المصطفى العالمية
بيروت-لبنان

فحوى البحث

بحث اتبعت فيه الباحثة منهج (التفسير الموضوعي) من خلال عرض الآيات التي تتحدث عن المستضعفين. وقد قسمت البحث على مقدمة ومباحث. فتحدثت في المقدمة عن موضوع البحث وأهميته ومنهجيته وأهدافه وخطته. ثم قامت بتحليل بعض الآيات الكريمة التي تتحدث عن المستضعفين، و مفهوم المستضعفين في القرآن الكريم ثم عرض أصناف المستضعفين. وأخيراً بحثتْ فهمَ بعض الفلاسفة والعلماء لمفهوم الاستضعاف والمستضعفين ثم خاتمة ابرزت ما استنتجته الباحثة في بحثها من أفكار.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

ان اهمية الموضوع تستمد من خلال آيات القرآن الكريم وتشريعاته وهي تتناول ركنين أساسيين في الحياة: ركن العلاقة بالله وركن العلاقة بالمجتمع والارتباط الوثيق بينهما.

لقد قاومت الدعوة الإلهية الشرك بكل أنواعه ومذاهبه من خلال شرائع الأنبياء وتعاليمهم حيث دعوا إلى التوحيد وعبادة الله الواحد ونبذ عبادة الأصنام وكل مايشرك بالله، إذ أن الوثنية كانت مغلغلة في نفوس البشر الذين كانوا خاضعين للسلطة الحاكمة يدينون كما تدين إما اقتناعاً أو قهراً.

إلى ان جاء الإسلام ليقضي على الفساد والظلم والجهل وينصر الحق ويقيم العدالة بين الناس ويخرجهم من جاهلية الوثنية إلى إسلام التوحيد.

لقد تحدّث القرآن الكريم عن تلك الفئة من المستضعفين الذين استضعفهم الطغاة والمستبدون وقهروهم وصادروا حقوقهم وانتهكوا حرماتهم ظلماً وعدواناً فمنهم من لم يستكن ولم يلن ولم يقبل الذل والهوان وإنما الظالمون تكاثرت عليهم ومنعوا من حقهم وهؤلاء من الأنبياء والأولياء وأصحابهم والمخلصين لهم ومنهم من استكانوا وخضعوا وتهاونوا في حقوقهم الشرعية والعقائدية وهم على قسمين قسم ليس له القدرة على مواجهة الظلم والقيام بواجباته ولايعرف السبيل لذلك وقسم يعرف السبيل ولديه القدرة وإنما خضع للسلطة الجائرة والفاسدة وهؤلاء توعدهم الله بجهنم خالدين فيها.

وهذا الموضوع لم يأخذ حقه من الدراسة والتحليل والبحث مع كونه على قدر كبير من الأهمية وهو بحاجة إلى دراسة أكثر لمعالجة آثاره.

وأسباب اختيار هذا الموضوع هو حاجة المجتمع إلى معرفته والواجبات المترتبة عليه ولم يلق هذا الموضوع على حد علمي دراسة موضوعية شاملة وذلك لبيان الرؤية الإسلامية في معالجته.

أمّا أهداف الدراسة فهي معرفة من هم الضعفاء المذكورون في القرآن الكريم ومعرفة الواجبات نحوهم ومعرفة خطر

الرضا بالذّل والتبعيّة وعاقبة ذلك من المنظار الأخروي وبيان عاقبة المستكبرين.

أولاً: تحليل الآيات التي تتحدث عن المستضعفين:

١. ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٣].

الإختلاف الواقع في هذه الآية المباركة نسبه الله تعالى إلى البغي أي من حملة الدين وليس من الدين نفسه فليس تنوّع الأديان وأختلاف العقيدة يسبب البغي إنما من ضلّ السبيل عارفاً طريق الحق معتمداً الإنحراف وهذا ماأطلق عليه الله صفة الباغي في قوله تعالى ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾، دلالة على أن المراد بالجملة هو الإشارة إلى الأصل في ظهور الإختلاف الديني في الكتاب لا أن كل من انحرف عن الصراط المستقيم أو تديّن بغير الدين يكون باغياً وإن كان ضالاً عن الصراط المستقيم، فإن الله لايعذر الباغي، وقد عذر من اشتبه عليه الأمر ولم يجد حيله ولم يهتد سبيلاً[1].

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[سورة الشورى: ٤٢].

الى أن قال: ﴿ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾[سورة النساء: ٩٨-٩٩].

مما يتبين من هاتين الآيتين أن هناك خطابين وعد بالعذاب وإستثناء بالعفو ومما لاشك فيه أن الآية الأولى تحدثت عن البغي وهي الفئة التي لاتعذر بمعنى الكفر بآيات الله ولهم عذاب اليم والفئة الثانية مما لاحول لها ولا قوة، فظاهر الآية بأن أمر عذرها مرتبط برحمة الله تعالى لأنها فئة أشتبه عليها الأمر ولم تهتد إلى سواء السبيل.

٢. ﴿ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ج٢/ ص١٣٠.

سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [سورة النساء: ٩٨ -٩٩].

من الثابت بالدليل القاطع أن الله تعالى عادل وليس بظالم وأنه لن يعذّب من لم تتم عليه الحجّة وبالتالي استثنى في هذه الآية الرجال والنساء والولدان المستضعفين الذين لم يتمكنوا من الهجرة المعذورين إما بنقصان في العقل او لايميزون بين الحق والباطل أو الأطفال أو العجزة (أو مَنْ ليس بقربهم حكومة إسلامية يمكنها الوصول إليهم كبعض الرجال والنساء والولدان الذين لايملكون أي سبيل وحيلة للخلاص بانفسهم من تسلط أولئكم المستكبرين ولا يهتدون إلى طريق لتحرير أنفسهم فإن هذه الجماعة مصانة من مؤاخذة قبض الأرواح وفي أمان من المصير إلى جهنم لأن هناك أملاً بعفو عن ذنوبهم)[٢].

ذلك أن التكاليف الإلهية تقتضي القدرة والعلم والذين لاقدرة لهم على فعل التكليف الموّكل إليهم أي قاصرين وليس مقصرين في تعلّمها ليس لمخالفة الأمر الإلهي أو تجاهله وإنما بسبب الظلم القاهر والإستبداد الحاصل من الحكم الجائر فهؤلاء مأمورون بالهجرة الى دار الإسلام وهؤلاء غير مشمولون بالعفو لأن لديهم القدرة للوصول إلى الحقيقة.

وهناك مستضعفون لاسبيل لهم للوصول إلى الحقائق كأن تربوا في بلاد الكفار فهؤلاء لايملكون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فهؤلاء لا يؤاخذون فأولئك تشملهم آية: ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [سورة النساء: ٩٩]. لأنهم لايملكون السبيل لإدراك الحقائق الإلهية والمعارف الحقة.

ولكن الهجرة لاتسقط عن هؤلاء المعذورين بل يجب عليهم أن يبادروا إليها عندما تتهيأ لهم الظروف دون أن يقصروا.

٣. ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ [سورة النساء: ١٠٠].

قال الراغب: الرغام (بفتح الراء)

(٢) الطهراني، محمد الحسين، معرفة المعاد، ط١، دار المحجة البيضاء/ بيروت، ١٤١٧هـ/ ، ١٩٩٦م، ج٣، ص٥٠.

التراب، ورغم أنف فلان رغما وقع الرغام، وأرغمه غيره، ويعبر بذلك عن السخط.

فمقابلته بالإرضاء مما ينبه على دلالته على الإسخاط (يجد في الأرض مراغما كثيرا) أي مذهبا يذهب إليه إذا رأى منكراً يلزمه أن يغضب منه[٣].

والمعنى: (ومن يهاجر في سبيل الله) أي طلباً لمرضاته في التلبس بالدين علماً وعملاً يجد سعة في الأرض. والمهاجرة إلى الله ورسوله إلى أرض الإسلام التي دعا الله المستضعفين إلى الهجرة إليها لكي يتمكنوا فيها من العلم بكتابه والعمل بأحكامه وشريعته وعدم الخضوع للمستكبرين الجبابرة.

والآية تشير إلى النعم الكثيرة، والبركات التي تعم في الحياة الدنيا جراء الهجرة في سبيل الله، والذين يهاجرون في سبيل الله إلى أي نقطة وإلى أي بقعة من بقاع الأرض سيجدون الأمن والإستقرار والخير الوفير وهناك يعلمون بالحق رغم أنف المعارضين وهذا ماعبر عنه بعبارة (مراغم) وهي مشتقة من كلمة (رغام) الذي يعني التراب ومعناه تمريغ أنف المعارضين بالتراب.

وفي القسم الثاني: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٠٠].

تشير الآية إلى أن المهاجرين سوف ينالهم الأجر والثواب سواء لحقوا بالمكان الذي يقصدونه بالبلد الإسلامي أو لم يدركوه للقيام بواجباتهم الدينية كأن فقدوا حياتهم أثناء الطريق فقد وقع أجرهم على الله ورسوله. مما يعني أن المهاجرين سينالهم الثواب الأخروي على كلا الوجهين سواء وصلوا أم لم يصلوا وهذا إن دل على شيء يدل على خصوصية الجهاد وأهميته عند الله سبحانه وتعالى.

٤. ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٤٨].

(٣) الأصفهاني، مفردات، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٠هـ: ٢٠٠٩م، ص٢٦٧ –٢٦٨، مادة رغم.

الأعـراف مكـان مرتفع بـين الجنة والنار، ويقال على الـصراط ففيه بعض المؤمنين الذين يعرفون أهل الجنة وأهل النار.

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ [سـورة الاعراف: ٤٦].

هذا الحجاب يمنع من إلتقاء الفريقين مع بعضهما البعض لكن لايمنع من سماع بعضهما البعض.

ويـقـال أن الإعـراف هـو مكـان يوضع فيه المستضعفون من الناس وهم المجانين والأطفال الذين يموتون صغاراً وأصحاب العاهات فهؤلاء لا يعذبون لكن لايتنعمون كما يتنعم أهل الجنة.

وكلمـة (أعـراف) تعني في اللغة الموضع المرتفع فيتبين أن هؤلاء الرجال أصحاب منزلة وشخصية إذ يشرفون من ذلك المقام المرتفع على كلا الفريقين ويرون كلا الفريقين بسيماهم[٤].

وهناك فريقان من الأعراف: فريق من الشخصيات المقربة من الله سبحانه وفريق من المستضعفين يطمعون بدخول الجنة بشفاعة الفريق الأول.

وأصحاب الأعراف هم قوم استوت حسناتهـم وسيئاتهم ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ [سورة الأعراف: ٨]..

فمن كانت حسناته راجحة دخل الجنة ومن كانت سيئاته غالبة دخل النار أما من كانت موازينه مستوية (كان من لايقام له وزن يوم القيامة كالكافر الذي احبطت أعـماله، والمستضعف الـذي لم تتم عليه الحجّة ولم يتعلق به التكليف.. فالمراد بالذي استوت حسناتهم وسيئاتهم هم المستضعفون المرجون لأمر الله إن يشأ يغفر لهم وإن يشأ يعذبهم[٥].

وهذا يعني أن في هذه الآية تعابير دالة على وجـود رجـال ذوي مقام رفيع على الأعـراف، وبيدهم الأمر والنهي. وهم أصحاب المقام الرفيع في معرفة أصحاب الجنة والنار، (حتى قبل دخولهم فيها)،

(٤) الشيرازي، ناصر مكارم، نفحات القرآن، ط١، دار جواد الأئمة، بيروت، ١٤١٣هـ/ ٢٠١٠ج٦، ص٤٠٦.

(٥) الطباطبائي، م، س ج٨، ص١٤٥.

وكذلك توجد تعابير في هذه الآيات تدل على وجود فريق حائر على الأعراف وعليهم آثار القلق البالغ خوفاً على مصيرهم طامعون في الجنة وخائفون من النار[٦].

ثانياً: قيود المستضعفين في القرآن الكريم:

١. (قيد لايستطيعون حيلةً):

قال الراغب: الحيلة والحويلة ما يتوصل به إلى حالة ما في خفية أو أكثر إستعمالها فيما تعاطيه خبث وقد تستعمل في ما فيه حكمة[٧].

ويقول الطريحي: الحيلة هي الحول، وهي ما يتوصل به إلى حالة بما فيه خفية، وقيل الحيلة هي الحول قلت واوه ياء لإنكساره قبلها والمعنى لايوصل إلى تدبير أمر وتغيير حال إلا بمشيئتك ومعرفتك[٨]. الذين لا (يستطيعون حيلة) أي الذين لاقوة لهم على الهجرة والنفقة كبعض الرجال والنساء والولدان الذين لايمتلكون أي سبيل وحيلة للخلاص من تسلط المستكبرين والمشركين للهجرة إلى دار الإسلام.

(أي أولئك الرجال والنساء والولدان من خصوصية حالهم عدم إتقانهم فعل وسيلة وحيلة عدم اهتدائهم إلى سبيل ينجيهم)[٩].

وبالتالي فهم في مأمن من جنهم على أمل أن يعفو الله عن ذنوبهم والله هو العفو الغفور.

٢. قيد (لايهتدون سبيلا):

الهداية: هي دلالة بلطف ومنه الهدية[١٠]، وقد ذكرت بمعنى آخر هي (الرشاد والدلالة والبيان، يذكرويؤنث[١١] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ أي لايهتدون إلى طريق الهجرة وهؤلاء فئة من المستضعفين الذين نزلت بهم آية الإستثناء لأنهم لايقدرون على التخلص

(٦) الشيرازي، م. س، ج٦، ص٤٠٩.
(٧) الأصفهاني مفردات، ص١٨٥، مادة حول.
(٨) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحريني، ك١ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٣٤٢، مادة حول.
(٩) الطهراني، م. س، ص٥٥.
(١٠) الأصفهاني، ن. م، مفردات، ص٦٧٠، مادة هدى.
(١١) الطريحي، ن. م ص١٣٢٦، مادة هدى.

من أيدي المشركين، وحتى لو استطاعوا لم يعرفوا كيف يتمكنون من تحرير أنفسهم ليسلكوا الطريق.

(لايستطيعون لايتمكنون أن يحتالوا لصرف ما يتوجه إليهم من إستضعاف المشركين عن أنفسهم، ولا يهتدون سبيلاً يتخلصون بها عنهم، فالمراد من السبيل على مايفيده السياق أعم من السبيل الحسي كطريق المدينة لمن يريد المهاجرة إليها من مسلمي مكة، والسبيل المعنوي وهو كل مل يخلصهم من أيدي المشركين)[١٢].

فالآية تستثني المستضعفين الحقيقيين العاجزين عن إدارك الطريق إلا الذين امتنعوا عن الهجرة وقرروا البقاء في محيطهم المظلم فهؤلاء في الحقيقة معذورون من الله لأنهم لو خرجوا هلكوا وذلك حتى يسهّل لهم الله فرجاً ومخرجاً من بين المشركين والله لايكلف نفساً إلا وسعها ولا يحملها ما لاطاقة لها بحمله.

٣. قيد (القصور وأنواعه):

القصور: من القصر: وهو من الأسماء المتضايفة وقصر الصلاة جعلها قصيرة وقصرت اللقحة على فرسي حبستُ درّها عليه...، وقصر السّهم عن الهدف أي لم يبلغه وقصّر عنه لم ينله وأقصر عنه كفّ مع القدرة عليه[١٣].

وهناك نوعان من التقصير إما مستضعف مقصر أو مستضعف قاصراً والإنسان المقصر لايعفى من العقاب لأنه علم ولكن قصّر بإدائه أما القاصر فلا حول ولاقوة ليس لديه القدرة ولا علم ولا إمكانية وهذا الذي إستثنى من الآية في حين أن المقصر هم الذين نزلت فيه الآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة النساء: ٩٧] والمقصود بالظالم في الآية الكريمة من يتحمل الظلم من المستضعفين عندما تسألهم الملائكة عند الموت عما ألجأهم إلى تحمل الظلم فيكون قولهم أنهم كانوا مستضعفين فيأتي جواب الملائكة ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها.

فالناس إذا لم يستطيعوا مقاومة الظلم والإستكبار فليس لهم الرضوخ

(١٢) الطباطبائي، م. س/ ج٥، ص٥٢.

(١٣) مفردات الراغب، ص٥٣٢، مادة قصر.

والإستسلام للظالم بل لابد لهم من الهجرة والإلتحاق بأرض الإسلام والمسلمين لكي يتاح لهم إمكانية ممارسة شعائرهم الدينية في ظل الإيمان.

فالميزان في عقاب الأعمال هو القصور والتقصير فلو لم يتعلم الأحكام التي يبتلى بها مع تمكنه من ذلك فهو مقصر ومعاقب، ففي التقصير يستحق العقاب إما جاهلاً أو عامداً، أما في القصور فهو غير مستحق لأنه لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلاً.

٤. قيد (الهجرة مع الإمكان):

الهجرة: من الهجر والهجران وتعني مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب والمهاجرة في الأصل مصارمة الغير ومشاركته والظاهر منه الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان كمن هاجر من مكة إلى المدينة[١٤].

والهجرة مفروضة على كل الفئات في المجتمع لأن الله سوف يحاسب كل إنسان حسب عمله وبشكل إنفرادي ولايعفى من الهجرة إلا طائفة من المستضعفين لأن الذين لاقدرة لهم على الهجرة وقد يكونون رجالاً أو نساءً أو عجزة أو أطفالا فهولاء صدر بحقهم العذر الإلهي في بقائهم بأرض الظلم والشرك لأنهم لم يكونوا قادرين على دفع مغبة الظلم عن أنفسهم ولايملكون قدرة فكرية أو عقلية أو مالية ولا تسقط عن هؤلاء واجب الهجرة بل يجب عليهم أن يعملوا على تقوية شوكتهم وإستنهاض همتهم والإستعداد للهجرة حتى ينطبق عليهم منطوق الآية ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

(لذا ينبغي الهجرة إلى دار الإسلام من أجل العمل بالتكاليف الشرعية من الأمر المعروف والنهي عن المنكر وسائر التعاليم والآداب الإجتماعية المذكورة أو الهجرة إلى أي نقطة من نقاط الأرض وتأسيس حكومة الإسلام هناك على يد حاكم الشرع المطاع)[١٥].

كما أن الهجرة لاتعني الإستغناء عن الوطن أو عن الأرض التي ينتمي إليها بل هي تعني الإنتقال من حالة الجهل والضياع إلى حالة النور والإيمان من الأفق الضيق إلى الأفق الرحب حيث الرخاء

(١٤) مفردات، ن. م، ص٦٦٧، مادة هجر.

(١٥) الطهراني، م. س، ج٣. ص٥٢.

والحرية في القيام بالواجبات والشعائر الدينية التي ينصّ عليها الإسلام.

فهناك أراضي واسعة خلقها الله والمهاجر سيجدها أمامه إذا لم يدركه الموت في الطريق، أما إذا أدركه الموت فإنه سيجد أمامه رحمة الله ويقع أجره عليه وعلى رسوله كما في قوله: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٠٠].

وذلك لأنه هاجر في سبيل الله من أجل إقامة شعائر الإسلام والقيام بتكليفه الديني الذي مُنع من تأديته من قبل المستكبرين والمشركين الذين علوا في الارض مفسدين.

ثالثا: أصناف المستضعفين:

كلمة مستضعف مشتقة من كلمة ضعف وهي تدل على من يكبل بالقيد ويجر إلى الضعف وقد قيل في المستضعف آراء وأقوال منها:

إن المستضعف في القرآن الكريم ثلاث فئات:

- **الفئة الأولى**: الفئة القوية والتي تمتلك قدرات وإمكانيات على مقاومة الظلم والحرمان وتمتلك الشجاعة وهي ليست بالضعيفة الفاقدة للقوة إلا أنها واقعة تحت ضغوط ومكبّلة بقيود قاهرة ورغم ذلك فهي تسعى إلى المقاومة والتصدّي للمشركين والظالمين. وهؤلاء يملكون طاقات كفاحية ومثلهم كمثل الأنبياء والأئمة والصالحين عبر الأمم الذين استنفدوا كل طاقاتهم من اجل التوحيد والذين وعدهم الله سبحانه بالفوز العظيم في المطاف الأخير فمسيرتهم حافلة بالصعوبات والعذابات من إعلاء الدين وإرساء الشريعة التوحيدية في مقابل الشرك والوثنية فجهادهم كان جهاد الوعظ والكلمة وبعضهم كان بالسيف إلا أن كثرة أعدائهم غلبتهم فاضطهدوا وقتلوا هم ومن تبعهم ومن والاهم لذا فالآية الكريمة نزلت ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [سورة القصص: ٥].

- **والفئـــة الثانية:** هم المستضعفون الذين يعانون من ضعف فكري أو عجز جسدي أو إقتصادي، بحيث لا يمكنهم التمييز بين الحق والباطل أو أنهم لايستطيعون أن يتعرفوا على الدين الصحيح وأنهم يعجزون عن الهجرة لقيود يفرضها عليهم محيطهم كالعجزة القاصرين الذين لايجدون في أنفسهم مادة الكفاح ولا يستطيعون تأمين أنفسهم فهؤلاء أمر الله سبحانه وتعالى الناس بالدفاع عنهم: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء: ٩٨].
- **والفئة الثالثة: هم المستضعفون الذين يمتلكون القدرة** ويعرفون كيف يميزون الحق من الباطل لكنهم تهاونوا بتكليفهم فأهملوا أنفسهم وقنعوا بعيشهم ضمن محيطهم الفاسد المبني على الظلم والشرك فرضوا بحياة الذل على أن يهاجروا إلى دار العزة والكرامة والجهاد فهؤلاء سلموا أنفسهم إلى شيطان عصرهم باختيارهم وتصميمهم ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة ابراهيم: ٢٢].
- فهم يعرفون تكليفهم وهم قادرون على الهجرة هربا من جور المستبدّين لكن زيّن لهم الشيطان فاستحسنوا تزيينه وراقهم حب الدنيا وهؤلاء غير معذورين عند الله ولا تشملهم رحمته الواسعة بل هم ظالمي انفسهم، كما قالت الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [سورة النساء: ٩٧].

والبعض صنف المستضعفين على فئتين:

- الاول: المستضعفون: الذين لهم سبيل للوصول إلى الحقائق.
- الثانية: المستضعفون: الذين لاسبيل لهم للوصول إلى الحقائق[١٦].

١. **المستضعفون المشركون:**

مفهوم الشرك والمشركين:

قال الراغب: شرك الإنسان في الدين ضربان أحدهما: الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ [سورة النساء: ٤٨] والثاني الشرك الصغير وهو مراعاة غير الله في بعض الأمور وهو الرياء والنفاق المشار إليه ﴿ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[سورة الأعراف: ١٩٠] أي واقعون في شرك الدنيا وحبالها[١٧] والشرك هو صرف العبادة لغير الله كعبادة الأوثان والمخلوقات والأشجار والأموات باعتبار أنهم أولياء.

فالمشركون هم الذين ابتعدوا عن الله سبحانه وتمسكوا بآلهة لا حول لها لاتسمع ولا تبصر ولاتغني شيئا.

(١٦) الطهراني. م، س، ص٤٣.

(١٧) الأصفهاني، م، س، ص٣٤٥، مادة شرك.

(المشركون هم الوثنية عبدة الأصنام وأصول مذاهبهم ثلاثة: الوثنية الصائبة والبرهمانية والبوذية وقد كان هناك أقوام آخرون يعبدون من الأصنام ما شاؤوا من غير أن يبنوه على أهل منظم كعرب الحجاز وطوائف المعمورة)[١٨].

وقد استثنى من لفظ المشركين أهل الكتاب بوصفهم من أهل التوحيد كما جاء في الآية المباركة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ ﴾ [سورة الحج: ١٧].

قلنا أن المشركين هم عبدة الأوثان، وأن الوثنية كانت ظاهرة في المجتمع الإنساني وتكاد لاتخلو حضارة منها إضافة إلى أن الأديان التي سبقت الإسلام كانت تركز على الأصنام والتماثيل الوثنية في أصل عبادتها والتي تعتبرها وسيلة للتبرك والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

- مذاهب الوثنية: مذاهب الوثنية ذات نظام منتظم فالصابئة منهم كانوا يعبدون الأجرام السماوية بوصفها تتعلق بالعالم الروحي وهي التي تدبّر

(١٨) الطباطبائي. م، س. ج١٧، ص٣٩٥.

النظام الأرضي. فقد اعتبروا أنها وسائط بين الله والإنسان فتقربوا إلى الله عبر هذه الأجرام السماوية بعبادة التماثيل المشابهة لها فصنعوا أصناماً على شكل الكواكب.

- والوثنية البرهمية: كانوا يعتقدون بالتناسخ وهو ان العوالم غير متناهية من ناحيتي الازل والأبد ولكل منها حظ من البقاء مؤجلاً فإذا انقضى أمد بقائه بطلت صورته وتولد منه عالم آخر يعيش فيموت فيحدث ثالث، والنفوس الإنسانية المتعلقة بالأبدان لاتموت فإنها تتعلق بأبدان أخر تعيش فيها... إلا الكاملون في معرفة برهم (الله سبحانه) فإنهم أحياء إلى الأبد آمنون من التولد الثاني خارجون عن سلطان التناسخ[١٩].
- أما الوثنية البوذية: فهي تنسب إلى بوذا وهي عبارة عن شريعة تشتمل على آداب أخلاقية وفيها تكلم عن الثواب والعقاب وعلى المساواة بين جميع أطياف المجتمع دون التمييز بين الرجال والنساء والأغنياء والفقراء ودعا البشر إلى السلوك الصحيح والعمل الصالح وتهذيب النفس وقد اشتملت تعاليمه على كثير من الوعظ واعتبر أن لا خلود في هذه الدنيا.

إن عقائد أي قوم أو أمة تشكل ركناً أساسيا في ثقافتهم، وانحطاط تلك العقائد يدل على الانحطاط الثقافي والحضاري لهم.

(وعلى هذا الأساس، فعرب الجاهلية كانوا في أرذل درجات الإنحطاط الثقافي والضياع حيث كانوا يعبدون الأصنام التي يصنعوها بأيديهم فيتصورون أنها تتحكم في مصائرهم بل يزعمون أنها حاكمة على السماء والأرض أحيانا)[٢٠].

وقد خاطب القرآن الكريم الرسولﷺ بعد ذلك بقوله: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سورة المائدة: ٧٦].

دعا الإسلام إلى إقامة العدل والحق والمساواة بين الناس ورفع الظلم

(١٩) الطباطبائي. م، س ص٢٦٦، ٢٦٧.

(٢٠) م. س نفحات القرآن، ص٣١.

والإضطهاد عن المظلومين فلم يكن هدف الإسلام من الجهاد كما تبين من الآيات السابقة العدوان أو الانتقام من الظالمين والمشركين والمستبدين الذين منعوا المستضعفين من الهجرة والذين عاثوا فساداً وعتواً في الأرض وإنما كان هدف الإسلام الرأفة والرحمة وهداية البشر إلى دين الإسلام الحق بكل أخلاقياته والنهوض بالمجتمع من الظلم والظلمات إلى أنوار الإيمان والبعد عن كل أنواع الإنحراف والفساد التي كانت سائدة في المجتمع ونقله من عبادة الإوثان إلى عبادة التوحيد الخالص لله الواحد الأحد.

لذا كانت معركته مع المشركين معركة إصلاح ونشر دين التوحيد، وماكان ليبدأ بقتالهم قبل أن يلقي بالحجة عليهم، والإسلام نهى عن قتل الأطفال والنساء والعجزة وهذه من مبادئ الإسلام لأنهم ضعفاء لاحيلة لهم حتى ولو كانوا مشركين ولأي مذهب انتموا.

فالإسلام أمر بالمحافظة على حرية العقيدة كما أمر بالعمل وحفظ حقوق الآخرين سواء أكانوا من المسلمين أم من غير المسلمين ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[سورة يونس: ٩٩].

لقد بقي الرسول يدعو المشركين والكفار إلى التوحيد الذي لايدينون بدين الحق ولايؤمنون بالرسالات الإلهية بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمر الله تعالى حتى إقامة حجته وهؤلاء لم يجد منهم إلى الجمود والمنكرات إلاّ الجحود والنكران.

٢. المستضعفون من المشركين:

المستضعفون من أهل الكتاب:

الهدف من نزول الكتب السماوية هو إنقاذ الإنسان من ظلمة الجهل والشرك والظلم وأنواع الحجب التي تكمن على قلب الإنسان والتي تطغى على المجتمعات والأخذ بها إلى نور التوحيد والتقوى والعدل والمساواة.

(والإيمان بأي نبي يقتضي الإيمان بسائر الأنبياء أيضاً فهو تيار واحد ليس أكثر، فالمؤمن حقاً بموسى عليه السلام أو عيسى عليه السلام أو ابراهيم عليه السلام لابد أن يؤمن أيضاً بسائر الأنبياء فاليهودي الواقعي في زماننا هو المسلم الحقيقي إن مقتضى كونه يهودياً هو أن يقبل كل ماجاء به موسى عليه السلام

وقد أمر بالإيمان بعيسى عليه السلام بعده ومن جملة دعوة عيسى عليه السلام ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[سورة الصف: ٦]، فالمسيحي الحقيقي في عصرنا هو من يقبل بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم إنه الإسلام والتسليم المطلق له[٢١] لكن أهل الكتاب رفضوا الإعتراف بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وحاربوه ولم يستمعوا إلى الموعظة الحسنة والحجّة البالغة والمناظرات الدامغة فحاربوا المؤمنين وقد جاء في القرآن الكريم ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦].

فاليهود والنصارى بوصفهم أهل الكتاب وهم على دين التوحيد إلا أنهم لايؤمنون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإن كانوا على شريعة التوراة والإنجيل فهم كفار وأيضاً مشركون. كفار لعدم إعترافهم بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وبتكذيبهم له ومشركون لقول اليهود إن (إن عزيز ابن اليهود) وقول النصارى (المسيح ابن الله) إلا أن الشرك في النصارى نراه أوضح منه في اليهود على الرغم من إن الإسرائيليات التي دخلت الإسلام هي من صنيعة اليهود والتي ما تزال إلى الآن تحارب.

فاليهود والنصارى والمجوس والصائبة إذا لم يكونوا مواطنين أو معاهدين يجب مقاتلة هؤلاء بنفس الشروط السابقة حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون أو يقع الصلح بينهم. ويعفى من هذه الضريبة والجزية المستضعفون من النساء والرهبان والأولاد الذين لم يبلغوا مرحلة النضج والعُجّز والأرقّاء والفقراء. وكان الذميون يدفعون هذه الضريبة لقاء بقائهم على دينهم وشركهم وإعطائهم نفس الحقوق التي للمسلم إلا أن الجهاد يسقط عنهم.

فإما القتال وإما الجزية والجزية جزاء عما منحوا من الأمن والحماية لهم والدفاع عنهم. وانطباق مفهوم الاستضعاف عليهم لأنهم قلة رضخت للعيش تحت

(٢١) اليزدي، مصباح، معارف القرآن، ط٣، الدار الإسلامية، بيروت ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ج٤، ص١٥٥.

الحكم الإسلامي صاغرة مستسلمة رضيت بالمواطنة أو الجزية لاتملك فرض الشروط وأنما قبول الشروط المملاة عليها على الرغم من أن الدين الإسلامي بمبادئه السمحة لايقبل أن يعامل أهل الذمة إلا بالمساواة في النفس والمال والعرض.

٣. فهم بعض الفلاسفة والعلماء لمعنى الإستضعاف:

يرى السيد الطباطبائي أن الجهل بالعلوم الدينية إذا كان عن قصور وضعف وليس من صنع الإنسان فهو معذور من الله. (ان الله سبحانة يعدّ الجهل بالدين، وكل ممنوعيّة عن إقامة شعائر الدين ظلماً لايناله العفو الإلهي، ثم يستثني من ذلك المستضعفين، منهم ويقبل معذرتهم بالإستضعاف، ثم يعرفهم بما يعمّهم وغيرهم من الوصف، وهو عدم تمكنهم ممّا يدفعون به المحذور عن أنفسهم)[٢٢].

وهذا الكلام فيمن لم يتمكن من معرفة الدين لاسبيل إلى معرفته كأن يكون في بلد بعيد لا وجود لعالم فيه أو أن الظلم والضغط الذي يتعرض له يمنعه من الهجرة ليتمكن من معرفة دينه.

فهذا مستضعف لايستطيع حيلة ولايهتدي سبيلاً لأنه واقع تحت سلطة الإستبداد والقهر (استضعفته عوامل سلطت عليه الغفلة ولاقدرة مع الغفلة ولا سبيل مع هذا الجهل. فالجاهل بالدين جملة أو بشيء من معارفه الحقة إذا استند جهله إلى ماقصر فيه وأساء الاختيار استند إليه الترك وكان معصية وإذا كان جهله غير مستند إلى تقصيره فيه أو شيء في مقدماته إلى عوامل خارجة عن اختياره اوجبت له الجهل أو الغفلة... فله ماكسب وعليه ما اكتسب، وإذا لم يكسب فلا له ولا عليه)[٢٣]. وقد رأى السيد أن هؤلاء المستضعفين مشمولون بالعفو الإلهي وذلك لما جاء في الآية الكريمة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [سورة النساء: ٩٩].

فهؤلاء وإن لم يعصوا الله في جهلهم إلاّ أن الآية ذكرت عسى أي هؤلاء ينتظرون رجاء العفو الإلهي وتختم الآية بأن الله عفو غفور.

(٢٢) راجع الطباطبائي، م. س، ج٥، ص٥٣.

(٢٣) م، ن، ن، ص.

فهم كما قالت الآية الكريمة ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١٠٦].

٢. رأي الشيخ مطهري:

يرى مطهري أن الله لايعذب القاصرين من المستضعفين على ما يرتكبونه من أعمال، وإنما عذابه ينزله بالمقصرين لا بالقاصرين، وأن أمرهم موكول ألى الله عز وجل.

وقد تحدث مطهري عن أهل الكتاب الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر فهؤلاء يستحقون برأيه الثواب وحسن العاقبة) والذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويقومون بالأعمال الصالحة قربة إليه وبنية خالصة، يتقبل الله أعمالهم ويستحقون ثوابه ودخول الجنة سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين)[٢٤].

كما أنه يرى أن أعمال الخير الصادرة من الذين لا يومنون وكذلك من المشركين تشكل سبباً في تخفيف العذاب عنهم أو رفعه.

ويقول مطهري (أن الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تصرح بعدم قبول أعمال منكري النبوة المحمدية والإمامة المعصومة، إنما تقصد مصاديق الإنكار الناتجة من العناد والجحود والتعصب، أمّا إذا كان الإنكار مجرد عدم معرفة وكان من القصور لا من التقصير فهو خارج عن الحكم الذي تذكره الآيات وأصحاب هذا النوع من الإنكار يصفهم القرآن الكريم بأنهم: مستضعفون ومرجون لأمر الله)[٢٥].

وهناك آراء لفلاسفة الإسلام أمثال ابن سينا وصدر المتألهين في هذا المعنى كما ذكرها الشهيد مطهري كتابه وقد قسّما أحوال الناس تقسيما فلسفياً.

(فيرى ابن سينا الناس ثلاث أقسام: بعضهم عاشقون للحق والحقيقة بكل وجودهم وبعضهم معادون لهما بكل وجودهم وهؤلاء وأولئك أقليّة أما الأكثرية فهم من المتوسطون الذين

(٢٤) راجع مطهري، مرتضى، العدل الآلهي، لاط، دار الحوراء، بيروت، لا ت، ص٣٨٤.

(٢٥) ن. م، ص٤٨٤ –٤٨٥.

لايحبون الحقيقة ولايعادوها بكل وجودهم بل هم جهال بها فإذا عرضت عليهم لم يجحدوها)[٢٦].

أي أنهم غير مسلمين ولكنهم لايجدون الحقيقة إذا عرفوها بل يسلمون لها.

وقد ذكر الشهيد مطهري في نهاية بحثه في العدل الإلهي وعمل الخير من غير المسلم (أن فلاسفة الإسلام يعتقدون أمثال ابن سينا وصدر المتآلهين أن أغلب الذين لايعترفون بالحق والحقيقة هم قاصرون وليسوا مقصرين، فلن ينالوا العذاب إذا لم يعرفوا الله وإن لم يدخلوا الجنة، أما الذين يعرفون الله ويؤمنون بالمعاد ويعملون الصالحات قربة إلى الله تعالى فسيحصلون على الثواب الإلهي، في حين أن الشقاء والعذاب هو مصير المقصرين فقط لا القاصرين)[٢٧].

الخاتمة:

يتبين من خلال عرضنا لهذا البحث أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل الأديان السماوية لهداية البشر وبعث بالأنبياء حجّة على العالمين وكي لايبقى الناس بدون هداية.

وقد بيّن القرآن الكريم أن ليس هناك تعارض بين الأنبياء ورسالاتهم (وأن الله عندما يوحي إلى الانبياء فإنه يأخذ منهم ميثاقاً في تأييد الأنبياء الآخرين، وكل نبي لاحق لابد أن يؤمن بالنبي السابق عليه وكذا المؤمنون لابد أن يصدقوا بمحتوى الوحي المنزّل على الأنبياءالماضيين)[٢٨].

لذلك فإن الإسلام لم يدعُ إلى محاربة اليهود والنصارى كدين وإنما دعا إلى محاربة الشرك والكفر والتحريف الذي حاولوا دسّه في القرآن الكريم، كما أن الإسلام لم يشن أي قتال ضد أهل الكتاب وإنما هم من أعلنوا محاربة الرسول ﷺ وأنكروا نبوته ولم يعتقدوا أن كل نبي يكمل دعوة الآخر ويبشّر بالذي يليه كما جاء في التوراة والإنجيل (ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد).

(٢٦) ن. م، ص٤٦٣ – ٤٦٤، نقلًا عن الإشارات أواخر النمط السابع.

(٢٧) ن. م، ص٤٨٥.

(٢٨) اليزدي، م. س، ص١٥٥.

وقلنا أن الإسلام ثار من أجل التوحيد فمن دخل في الإسلام كان آمنا ومن حاربه كان نصيبه القتل وهناك من استسلم من أهل الكتاب فدخلوا في الذمة كما أن الإسلام حارب المشركين الذين لا ذمة لهم سوى الإيمان أبو القتل وقد قسمنا المستضعفين على ثلاث فئات:

- فئة من الذين لايملكون وسيلة لتعلم المعارف الدينية والذين يعيشون تحت سلطة القهر والظلم والإستبداد وهؤلاء واقعون تحت حكم المستكبرين الذين استضعفوهم ومنعوهم من الهجرة وضيقوا عليهم هؤلاء لاسبيل لهم للتعرف على الدين فهم قاصرين غير مقصّرين، لأن التكاليف الإلهية مشروطة بالعلم والقدرة والأفراد الذين لاقدرة لهم على العمل بالتكليف أو الذين كانوا قاصرين غير مقصورين في تعلمها فحصلت لهم المخالفة للأوامر في النتيجة، سوف لن يؤاخذزا أو يعذبوا على ذلك[٢٩] لأن الله لايكلف نفساً إلا وسعها ومتى انتفت القدرة انتفى التكليف.
- وفئة لديها العلم والقدرة على الهجرة إلا أن حب الدنيا غلبها فتلكأت في الخروج واستساغت الظروف المحيطة بها وكأنها تدفع ضريبة دينها بعدد من الأيام الفاسدة وهؤلاء هم الظالمون أنفسهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ وهؤلاء باعوا أنفسهم للمستكبرين ورضوا بما يملوه عليهم وبالتالي تعد صفة الإستضعاف لازمة بهم وإنما هم من استضعفوا أنفسهم وهم غير معفين من العذاب فمن لديه القدرة على المواجهة يجب أن يواجه ومن ليس لديه القدرة فعليه الهجرة وهؤلاء لم يواجهوا ولم يهاجروا فحقّ عليهم سوء العذاب لأنهم من اتبعوا بإرادتهم واختيارهم المستكبرين والظالمين.
- والفئة الثالثة من المستضعفين الذين

(٢٩) الطهراني: م. ن، ص٤٣.

نزلت بهم آية ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ وهؤلاء الذين قلنا من لديهم قدرات ومواهب وإيمان راسخ وهم الأئمة عليهم السلام والأولياء وأصحابهم وأتباعهم المخلصين الذين ظلموا وقهروا ومنعوا من حقوقهم وسلبوا وشردوا عبر الزمن، فثاروا في وجه الظلم مراراً لكنهم قلة فعذبوا والتاريخ مليء بالشهداء. فهي مسيرة الانبياء والأئمة الذين غلب الظلم والجور على حقهم فلم يريدوا أن يريقوا دماء المسلمين فسكنوا إلا أن الظلم والإستكبار عبر التاريخ سوف ينتهي بقيام دولة الحق حين يمكن الله للمستضعفين الأرض بقيام الإمام المهدي (عجل الله عفرجه الشريف) حين يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلما وجوراً ويقيم الحكومة الإسلامية حكومة الأئمة عليهم السلام ويأتي بحقهم المسلوب من الظالمين والمستكبرين.